باب التربية والتعليم

نشرنا ونشر المؤيد في يوم الخميس الاسبق نبذة في نجاح التعليم في الازهر بالنسبة للمشتغلين بالعلوم التي ادخلت فيه حديثاً بسعي فضيلة مفتي الديار المصرية فكتب الشيخ محمد راضي البحراوي من علماء الازهر نبذة في المؤيد يعترض فيها على ما جاء فيه من نجاح التعليم فنشر المؤيد بعد ذلك مقالة بامضاء «مجاور أزهري» يرد فيها على ما كتبه الشيخ مع كمال الادب والاحترام وهي

﴿ التعليم في الازهر الشريف ﴾

قرأنا في مؤيد أول أمس نبذة لاحد مشايخنا الكرام في مضرة الاشتغال بالعلوم الجديدة ونتيجة امتحان المكافأة في هذه السنة تنحصر ابحاثها في مسائل «١» ان الذين امتحنوا في العلوم الازهرية وحدها أي دون العلوم الجديدة انما ظهر فيهم عدم النجاح لانهم مشتغلون بالجديد أيضا ولكن باعتناء زائد أضاع ثمرة اشتغالهم بغيرها «٢» اننا لو تأملنا لوجدنا ان علمي الحساب والهندسة يشتغل بهما في الازهر في كل عصر وآن على أحسن من الطريق الموجود الآن لان الكتب التي كانت تقرأ كانت مشتملة على البراهين القطعية وأما الآن فليس في تعليمهما الا بيان الاعمال «٣» ان التعليم الاول كان يقوي العقل والتعليم الجديد كان يقوي الحافظة ويضعف العقل «٤» ان علم تقويم البلدان سهل لا يحتاج الى اعمال الفكر والنظر فهو كالتاريخ يفيد الحافظة ولا يفيد العاقلة أصلا «٥» ان هذا العلم لا فائدة فيه للمصريين أي وبالاحرى للازهريين . والغرض من تلك النبذة هو ما صرح به بقوله « ان الاشتغال بالعلوم الجديدة مضر جداً » وقد رأيت أنا وبعض اخواني ان

نكتب ما عندنا في هذه المسائل فكتبت اليكم بهذه المجالة غير مصرح باسمي لان الكلام مع الكلام ولاني لا أتسامى لان أظهر بصفة المناظر لحضرة استاذنا كاتب تلك النبذة في جريدتكم وغرض الاستاذ وغرض حضرتكم وغرضنا نحن بيان الحقيقة

اما المسئلة الاولى فقد أحسن المؤيد الجواب عنها (*) وأزيد على ذلك ان حضرة الاستاذ قالها عن اجتهاد لا عن اختبار لاننا نحن الممتحنين يعرف بعضنا بعضا على انه ليس من المعقول ان أحداً يصرف كل عنايته الى علم من العلوم ويطلب الامتحان فيما اهمل الاشتغال به دون ما اشتغل به بكل اجتهاد . واما المسئلة الثانية فيحتمل ان يكون مراد الاستاذ بها القرون الاولى ايام خلفاء الفاطميين ومن بعدهم واما في هذا العصر فعدم وجود علماء الحساب والهندسة في الازهر هو الذي اضطر مجلس ادارته الى استحضار مدرسين لهما من الخارج وليدلنا الاستاذ على مهندس واحد تخرج من الازهر . وأما المسئلة الثالثة فهي من مباحث الفلسفة العقلية التي لا يشتغل بها أحد في الازهر اليوم ولكن من المعروف أن أكابر الفلاسفة والسياسيين في أوروبا تعلموا الحساب والهندسة على الطريقة الجديدة ولا يمكننا ان نقول ان عقولهم ضيقة وقد اكتشفوا في العلوم ما اكتشفوا ورقوها الى الدرجة التي أعطتهم السيادة والسعادة في الدنيا على ان العلوم انما تطلب لاجل العمل فكيف يكون بيان العمل مضراً ومضعفاً للعقل ؟ . وأما المسئلة الرابعة وهي قوله ان تقويم البلدان كالتاريخ يقوي الحافظة ويضعف العقل فجوابه

(*) ملخصه ان الاشتغال بالعلوم الجديدة يزيد الاقدام والنشاط لان جميع الذين تقدموا للامتحان منهم على قول الشيخ المعترض وفي ذلك تسجيل الخمول على سائر طلبة الازهر

يعلم مما قبله والمشهور عند جميع الامم انه لا شيء يقوي العقل من العلوم كهذين العلمين لانهما يعرفان الانسان أحوال العالم وشؤونه. هذا البرنس بسمارك الذي نقل الينا ان دماغه أكبر دماغ بحسب ما وصل اليه اختبار الاوروبيين أي ان عقله أكبر عقل عرفوه باختبارهم الحديث حتى انه كان يحرك الممالك الاوربية بكلمة ويسكنها بكلمة وناهيك بعمله العظيم في الوحدة الالمانية كان أعلم الناس بالتاريخ والجغرافيا واتفق الناس على ان قوة عقله ونفوذ سياسته انما جاءا من ذلك . واما المسئلة الخامسة فيمكن للعارف بتقويم البلدان ان يجيب عنها بمقالة أو رسالة أو كتاب في بيان فوائد هذا العلم للناس عموماً وللمصريين منهم وللازهريين خصوصاً وأكتفي الآن بمسائل

(أحدها) ان في الازهر الشريف عدة أروقة ولكل رواق منها أوقاف مخصوصة فاذا لم يكن أهل الازهر عارفين بتقويم البلدان يشتبه عليهم الامر في الحاق أهل كل رواق به . مثلا ان للشوام رواقاً وللاتراك رواقاً وبلاد الشام متصلة ببلاد الترك ومن أهلها في الاطراف من لا ينطق اليوم الا بالتركية وهل يعرف الحد بين البلادين الا من هذا العلم وكذلك يقال في رواق الهنود ورواق الافغان الخ الخ

(ثانيها) تبين ان ببلاد أميركا قوماً من المسلمين لكنهم جاهلون بدينهم فاذا كتبوا الى مشيخة الازهر يطلبون كتاباً أو أستاذاً يعلمهم أمر دينهم فهل يمكننا ان نعرف سمت القبلة هناك الا اذا كنا عالمين بطول البلاد وعرضها وذلك من علم تقويم البلدان ومثل هذا يقال فيما اذا كان السائل من بلاد الكاب أو استراليا أو جزائر المحيط وغيرها وان كثيرا من المصريين يسافرون في كل سنة الى اوربا فاذا سئل الاستاذ عن القبلة في بلاد أسوج

ونروج كيف يمكنه الجواب اذا لم يعرف هذا العلم

(ثانيها) ان حوالي الدرجة ١٦٠ من خطوط الطول الغربي لمدينة باريس وحوالي درجة ٤٥ من خطوط العرض الجنوبي لها نقطة في المحيط الباسفيكي لو خرج منها خط مستقيم ومر في مركز الارض الى الجانب الآخر يكون في وسط الكعبة ففي تلك النقطة يصح لمن كان هناك أن يولي وجهه في الصلاة أية جهة من الجهات الاربع فاذا سافر المسلمون من غربي أميركا أو شرق آسيا في تلك الجهة هل يمكن لهم معرفة هذا الحكم الا بعلم تقويم البلدان

(رابعها) اتفقت الجرائد حتى الانكليزية منها على ان أهم أسباب انتصار البوير وانكسار الانكليز في الحرب المشتعلة الآن في جنوب أفريقا هو معرفة البوير التامة بجغرافية البلاد التي وقعت فيها الحرب وتقصير الانكليز في ذلك والحرب عند المسلمين قد تكون فرض عين عليه بالشرط الذي يعرف حضرة الاستاذ انه متحقق اليوم في كثير من البلاد الاسلامية . وهذا الفرض متوقف في هذا العصر على معرفة تقويم البلدان

(خامسها) ان للبلاد الاسلامية التي يتغلب عليها العدو أحكاماً شرعية مخصوصة والبلاد التي من هذا القبيل كثيرة الآن ومتصلة بالبلاد الاخرى وكثيراً ما يقع الاختلاف في حدودها والاحكام تابعة لمعرفة الحدود . وقد ألحق ببلاد السودان جزء من بلاد مصر لاشتباه حضرات النظار بين (سرس) و (فرس)

(سادسها) ان علم تقويم البلدان يعلمنا مع التاريخ ماعليه الدول الحربية من الاستعداد وقد أمرنا الله ان نعد لهم ما نستطيع من قوة وورد في بعض الاحاديث ان نحاربهم بمثل ما يحاربوننا به فالقيام بامتثال هذا الامر يتوقف

على هذين العلمين

(سابعها) ان عقلاء المسلمين وكتابهم قاموا في هذه السنين يحثون المسلمين على الاتحاد والارتباط والتعاون والتعاضد ولا ينكر فائدة هذا مسلم وهو يحتاج الى التعارف والتعارف يكون بعلمي التاريخ وتقويم البلدان

هذه الوجوه لوجوب الاشتغال بالجغرافيا على المسلمين عموماً والازهريين الذين يستعدون لارشاد المسلمين في كل قطر بوجه خاص كلها دينية محضة ويمكن استنباط غيرها

ولا حاجة بعد ما تقدم للكلام في نتيجة النبذة التي كتبها استاذنا الشيخ راضي البحراوي وهي ان الاشتغال بالعلوم الجديدة مضر فانه حفظه الله اعترف بان الحساب والهندسة من العلوم النافعة وحصر المضرة في تعلمها على الوجه العملي وقد علم ما فيه كما علمت فوائد تقويم البلدان بالاجمال وظهرت فوائدها في تقوية العقل بالنجاح في الامتحان . وهذا الرأي يوافقه عليه بعض المشايخ ويخالفه الآخرون . وقد كان عند ما اجتمعنا في يوم الخميس الماضي بحضرة أكابر المشايخ لتوزيع المكافأة ان فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية قال ان بعض المشايخ قال ان الذين يشتغلون بالعلوم الجديدة في الازهر قد تركوا العناية بالعلوم الدينية ووسائلها مع ان هذه هي المقصودة أولا بالذات فحملني ذلك على استخراج هذا الاحصاء لاجل تلافي الامر اذا اتضحت حقيقته وتلا علينا الاحصاء الذي نشرته مبسوطاً في المؤيد الاغر . وعند ما قال ان بعض المشايخ قال كذا التفت اليه مولانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع وقال مستفهما استفهام انكار ﴿ ومن الذي قال هذا ؟ ﴾ وقد سمع هذه الكلمة منه المشايخ الحاضرون ومن كان قريباً

منهم من المجاورين فعلمنا من هذا أن أكابر مشايخنا ينشطوننا على الاشتغال بهذه العلوم لعلمهم اليقيني بدرجة استفادتنا منها ولا شك ان حضرة الاستاذ الشيخ محمد راضي البحراوي يوافقهم على هذا بعد زيادة التدقيق لان مقصود الجميع مصلحة الجميع

﴿أميل القرن التاسع عشر﴾

(٣٦) من هيلانه الى اراسم في ٤ اغسطس سنة ١٨٥

لا أزال أشعر في نفسي بكثرة الضعف حتى اني في تحرير هذا المكتوب اليك لم أستطع ان أكتبه مرة واحدة بل كنت أراوح فيه بين الكتابة والاستراحة عدة مرات. كنت لزمت الفراش اثني عشر يوما موافقة للعادة المتبعة في معظم جهات انكلترا والآن اصبحت قادرة على القيام والمشي في البيت قليلا وصرت مثلك أجيل ناظري وفكري واسيح بهما فيما حولي واني أجد لذة في حبسي لاني انوي به مشاركتك في حبسك

أيكون من الوهم ان أحسب ان أميل ما لبث ان عرفني؟ كلا فاني لا أجيز لنفسي مطلقا أن تعتقد اني لست في نظره (الا نديا مملوأ لبنا) على قول أحد العلماء على اني أعترف اعترافا قلبيا بان هذا المولود الضعيف الذي يكاد يكون جمادا محتاج الى ان يأخذ كثيرا من غيره ولا يكاد يعطي شيئا نعم ان لنا فيه قرة عين وانشراح صدر ولكنه ليس له في هذا اختيار فهو كالزهرة ترتاح لها النفس ويبتهج برؤيتها الناظر على غير ارادة منها ولا قصد ومهما كانت حاله ألست أنا اشد منه أثرة لاني انا المغتبطة بحبي اياه ثم اني كيف يسعني ان ارتاب فيما له من الاحساس الي فانه قد أعاد لي